مقـــدمة الترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم على توفيقك ونصلى ونسلم على نبيك الكريم وعلى جميع أنبيائك ورسلك . وبعد فهذا هو الجزء الأول من المجلد الثانى من مجلدات قصة الحضارة التى يصدرها الكاتب الأمريكى ول ديورانت . وهذا المجلد الثانى هو المعروف « بحياة اليونان » ، وقد تمت ترجمته بعون الله ، وسيصدر تباعاً فى ثلاثة أجزاء . وقد تمت كذلك ترجمة المجلد الثالث الخاص بحضارة الرومان ، والذى سماه المؤلف « قيصر والمسيح » ، وسيصدر إن شاء الله بعد الفراغ من نشر المجلد الثانى . ولقد بدأنا منذ بضعة شهور ترجمة المجلد الرابع من هذه السلسلة العظيمة ، وهو الذى سماه المؤلف « عصر الإيمان » ، والذى يصل بالقصة إلى العصور الوسطى . ونرجو أن نفرغ من هذه الترجمة قبل أن ينشر المؤلف المجلد الخامس الخاص بعصر النهضة ، والذى يقول إنه سيصدر فى عام ١٩٥٥ . فإذا ما مد الله فى حياتنا ورزقنا صحة الجسم وراحة البال ، بدأنا ترجمة هذا المجلد عقب صدوره ، فلا يبقى بعد هذا لكى تتم القصـــة إلا المجلد السادس « عصر العقل » الذى سيصدر بالإنجليزية فى عام ١٩٦٠ . فإذا ما ترجمناه هو الآخر فاعتقادنا أننا نكون قد دينا لهذا الوطن العزيز واللغة العربية حقهما علينا ونكون قد آن لنا وللمؤلف كما يقول عن نفسه أن نستريح .

هذا والفضل كل الفضل فيما صدر من قبل من هذا الكتاب الجليل الشأن وما سيصدر بعد من مجلداته الستة إلى الإدارة الثقافية فى جامعـــة

الدول العربية فبمعونتها وثقتها ترجمنا ما ترجمناه منها ، ثم إلى لجنة التأليف والترجمة والنشر التى تولت أعمال الطبع والنشر وتحملت نفقاتهما ، ثم إلى القراء فى مصر وسائر البلاد العربية الذين أقبلوا على أجزاء المجلد الأول الخمسة إقبالا كان له أكبر الأثر فى تشجيعنا على بذل ما يتطلبه هذا العمل الضخم من جهد ، وتحمل ما يسببه من عناء .

ولقد كانت طريقتنا فى الترجمة هى بعينها الطريقة التى اتبعناها فى كل ما ترجمناه من قبل ، وهى التقيد التام بالأصل المترجم لم نشذ عنه فى شىء ، فلم ننقص منه ولم نزد عليه ، اللهم إلا شروحاً وتعليقات قليلة فى هوامش الصفحات .

أما تعريب الأعلام فقد اتبعنا فيه نطقها الذى ثبته المؤلف فى آخر الكتاب ، عدا أسماء قليلة نطق بها العرب على غير ما ينطق بها الأوربيون ، كأفلاطون وأرسطو ، وسقراط ، وأسماء أخرى ورد ذكرها فى كتب العرب الأقدمين ؛ وإذا كان قد فاتنا شىء منها فى هذا الجزء فرجاؤنا ألا يفوتنا فى الجزأين التاليين ؛ وزيادة فى الدقة قد رأينا أن نثبت أسماء الأشخاص والأماكن حين يرد ذكرها أول مرة بالحروف الإنجليزية حتى يسهل النطق بها على الوجه الصحيح ، وإنا لنرحب بكل تنبيه لما عساه أن يكون قد خفى علينا من هذه الأسماء ، ونعد بالاستفادة منه فى الأجزاء التالية مع خالص الشكر لأصحابه ، ونرجو ألا يطول انتظار القراء لهذه الأجزاء .

فى شهر مارس من عام ١٩٥٣

محمد بدران

مقدمة المؤلف

إن الغرض الذى أبتغيه من تأليف هذا الكتاب هو أن أجيل الفكر فى أصل الحضارة اليونانية ونشأتها وترعرعها واضمحلالها من أقدم العهود التى تدل عليها آثار كريت وطروادة إلى أن فتحت رومة تلك البلاد ، وأن أدون ما أهتدى إليه من بحوث فى هذا الميدان . وإنى لشديد الرغبة فى أن أرى هذه الحضارة المعقدة وأن أحس بها ، على ألا يكون إحساسى بها وروايتها مقصورين على البحث فى نهضتها وسقوطها بحثاً نظرياً مجرداً ، بل أريد به بحثاً يتغلغل فيما تشتمل عليه من عناصر حية كثيرة التباين ، متعددة الأنواع ، منها طريقة أهلها فى انتزاع الرزق من الأرض ، وفى تنظيم التجارة والصناعة ، وما قاموا به من تجارب فى الحكم الملكى المطلق ؛ والأرستقراطى والدمقراطى والدكتاتورى ، ومن ثورات على حكامهم ونظمهم ؛ ومنها عاداتهم وأخلاقهم وطقوسهم الدينية ومعتقداتهم ؛ وتربية أبنائهم وشئون أسرهم وتنظيم علاقاتهم الجنسية ؛ وبيوتهم ومعابدهم وأسواقهم ومسارحهم وميادين ألعابهم ؛ وأشعارهم ومسرحياتهم وتصويرهم ونحتهم وعمارتهم ومسيقاهم ؛ وعلومهم ومخترعاتهم وخرافاتهم وفلسفاتهم . أريد أن أرى هذه العناصر وأن أحس بها لا فى عزلتها النظرية العلمية ، بل فى تفاعلها الحى وأثر كل عنصر منها فى سائر العناصر ، وأن أبحثها من حيث هى حركة عامة شاملة يقوم بها كائن حى ثقافى عظيم ، له مائة عضو ومائة ألف ألف خلية ، ولكن له جسما واحداً وروحاً واحداً .

ولم هذا العناء كله ؟ لأننا لا نكاد نجد شيئاً فى ثقافتنا الدنيوية — اللهم إلا آلاتنا — لسنا مدينين به لليونان ، فالألفاظ الإنجليزية الدالة على المدارس والملاعب ، والحساب والهندسة ، والتاريخ ، والبلاغة ، وعلوم الطبيعة

والأحياء والتشريح والصحة والأقراباذين ، وفن التجميل والشعر والموسيقى ، والمآسى والمسالى ، والفلسفة ، والدين ، واللاأدرية ، والتشكك ، والرواقية ، والأبيقورية ، وعلم الأخلاق ، والسياسة ، والمثالية ، وحب الإنسانية ، والكلبية ، والاستبداد ، والبلوتوقراطية والدمقراطية ، كل هذه ألفاظ يونانية لصور من الثقافة لم ننشئها نحن إنشاءً بل إنها قد نضجت وترعرعت — خيراً كان ذلك أو شراً — بفضل نشاط اليونان العظيم . والمشاكل التى تقض مضاجعنا فى هذه الأيام — كتقطيع الغابات واستئصال أشجارها وما ينشأ عن ذلك من تعرية الأرض وإزالة تربتها ، وتحرير المرأة ، وتحديد عدد أفراد الأسرة ، والمحافظة على القديم المستعز ، وإجراء التجارب على الجديد فى الأخلاق والموسيقى ونظم الحكم ، وفساد السياسة والاعوجاج الخلقى ، والنزاع بين الدين والعلم ، وضعف المعنوية التى تستمدها الأخلاق من خوارق الطبيعة ، وحروب الطبقات والأمم والغارات ، وثورات الفقراء على الأغنياء الأقوياء من الناحية الاقتصادية ، وثورات الأغنياء على الفقراء الأقوياء من الناحية السياسية . والنزاع بين الدمقراطية والدكتاتورية ، وبين الفردية والشيوعية ، وبين الشرق والغرب ، كل هذه الأمور قد اضطربت بها حياة بلاد اليونان الباهرة المتألقة ، وكأنها قد اضطربت بها لنتعلم منها نحن ونفيد منها فى حياتنا . وقصارى القول أنه ليس فى الحضارة اليونانية شىء لا ينير لنا سبل حياتنا .

وسنحاول فى هذا الكتاب أن ندرس حياة بلاد اليونان من حيث تفاعل عناصرها الثقافية ومن حيث هى مسرحية كبرى ذات فصول خمسة تبدأ بنهضتها وتختتم بسقوطها . سنبدأ بكريت وحضارتها التى أنيط عنها اللثام من وقت قريب لأن من كريت ، كما يبدو لنا ، ومن بلاد آسية جاءت ثقافة ميسينى Mycenae وتيرنز Tiryns التى نشأت فيها قبل الأزمنة التاريخية ، فحولت على مهل المهاجرين الآخيين Achaeans والغزاة

الدوريين Dor ans إلى متحضرين ، وسنخصص بعض الوقت لدراسة عالم المحاربين والمحبين ، والقراصنة والمغنين ، الذى انتقل إلينا فى أشعار هومر القوية الجارفة ؛ وسنرقب نشأة اسپارطة وأثينة فى عهد ليكورج Lycurgus وصولون Solon ونتتبع انتشار الاستعمار اليونانى فى جميع جزائر بحر إيجه ، وشواطئ آسية الغربية ، والبحر الأسود ، وأفريقية وإيطاليا وصقلية ، وفرنسا وأسبانيا ؛ وسنرى الدمقراطية تدافع عن حياتها فى مراثون Marathon ، ثم تبعث فيها نشوة الظفر قوة على قوتها ، فتنظم نفسها فى عهد بركليز Pericles ، وتزدهر وتثمر أغنى حضارة عرفها التاريخ وسنطيل النظر مسرورين مغتبطين إلى العقل البشرى وهو يتحرر من الخرافات والأوهام ، فينشئ علوماً جديدة ، وينزل الطب على حكم العقل ، وينزل بالتاريخ من خوارق الطبيعة ومن الأجرام السماوية إلى العالم الأرضى ، ويبلغ الغاية التى لم يصل إليها عقل شعب آخر من قبل فى الشعر ، والتمثيل ، والفلسفة ، والخطابة والتاريخ ، والفن ؛ وسوف نسجل فى هذا الكتاب ونحن آسفون محزونون ، ما اختتم به العصر الذهبى فى الحروب البلوبونيزية من خاتمة قضت فيها المدن اليونانية بعضها على بعض . وسنشاهد ذلك المجهود الجبار المنطوى على البسالة والشهامة والذى بذلته أثينة المضطربة المختلة النظام لتستعيد قوتها بعد هزيمتها ؛ وسنراها عظيمة حتى فى اضمحلالها تنجب أفلاطون وأرسطاطاليس وأبليز Apelles وبركستليز Praxiteles ، وفيليب ودمستين وديجين ، والإسكندر ؛ وسنرى فى أعقاب قواد الإسكندر الحضارة اليونانية ، أعظم وأقوى من أن تحتويها شبه الجزيرة ، فتخترق حدودها الضيقة وتفيض من جديد على آسية ، وأفريقية ، وإيطاليا ؛ وتعلم الشرق المستغرق فى تصوفه وباطنيته جلال الجسم والعقل ، وتعيد مجد مصر فى إسكندرية البطالمة ، وتغنى رودس بالتجارة والفن وتنهض بالهندسة على يد إقليدس فى الإسكندرية وأرخميديس فى سرقوسة ، وتضع على أيدى زينون وأبيقور أبنى الفلسفات فى التاريخ ،

وتنحت تماثيـــل أفروديتى Aphrodite فى ميلوس Melos واللاوكوون Laocoon وانتصار سمثريس Samothrace ومذبح برجاموم Pergamum ؛ وتحاول عبثاً أن تعيد تنظيم سياستها وتبث فيها روح الشرف والوحـــدة والسلم ، ثم تهوى إلى أعماق الفوضى بسبب الحروب الداخلية وحروب الطبقات ، وتنضب مواردها ، ويقل عامرها ، وتفقد روحها المعنوية ؛ وتستسلم للأتوقراطية والخمول وتصوف الشرق ، وتكاد فى آخر الأمر أن ترحب بالرومان الفاتحين ، فتورث بلاد اليونان الميتة على أيديهم أوربا علومها ، وفلسفاتها ، وآدابها وفنونها فتكون هى الأساس الثقافى الحى لعالمنا الحديث .